

" الثقافة و " والثقافة الشعبية و " التراث "

- مفاهيم وتقاطعات -

د. أمينة بلهاشمي، د. مساعدة نسيبة

1المركز الجامعي الصالحي أحمد - النعامة - البريد الإلكتروني: walhassiya@gmail.com

2 جامعة عباس لغرور - خنشلة - البريد الإلكتروني: sibamess@yahoo.fr

ملخص:

بات التوجه في الآونة الأخيرة إلى الاهتمام بالدراسات البيئية وتفعيل البحث فيما على المستويين النظري والتطبيقي، على اعتبار أن المعارف تراكمية ومتقاطعة فيما بينها فالمشترك بينها الإنسان بوجه عام، بغض النظر عن اختلاف التوجهات والاختصاصات، فالتكامل المعرفي يزيد من عمق الخبرة المعرفية ويربطها بسياقات متنوعة.

من بين المعارف المتداخلة فيما بينها نلفي حقل الدراسات الشعبية، فهو مترامي المرجعيات والموضوعات والمناهج، لا يقتصر على موضوع دون الآخر فكل ما يتعلق بالمخزون الحضاري المادي والمعنوي هو محور الدراسات الشعبية، فيتداخل مع الأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا، والإثنولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس إلى غير ذلك من العلوم، وتتفرع عنه أطر بحثية مختلفة نحو التراث الشعبي، الثقافة الشعبية، الأدب الشعبي.

يؤسس ما سبق لطرح الإشكال التالي: هل يمكن تحديد تقاطعات مصطلحات الدراسات الشعبية؟ تتفرع عنه الأسئلة الآتية: ما هي أهم مصطلحات الدراسات الشعبية؟ فيما تتمايز مفاهيم تلك المصطلحات؟ سنجيب عن الإشكال بالتركيز على ضبط المصطلحات المهمة ومنها: التراث الشعبي، الثقافة الشعبية، الأدب الشعبي، الأنثروبولوجيا.

كلمات مفتاحية: تراث ، ثقافة، أنثروبولوجيا، أدب شعبي، مفاهيم.

Abstract:

In recent times, the tendency to focus on inter-studies and activate research in the theoretical and practical levels has become of great importance , since that knowledge is cumulative and cross-cutting. What is common between them is man. Regardless of the different orientations and

specializations, is that knowledge integration increases the depth of knowledge experience and links it to various contexts.

Among the intertwined knowledge is that of popular studies, as it is a reference, topic and curricula. Furthermore, it is not restricted to a topic without the other, because all what focus of popular studies relates to material and moral stock. So, Popular studies interfere with anthropology, ethnography, ethnology, sociology, psychology, and other sciences .

The above establishes the following problem: Can the intersections of folk studies be identified? The following questions are subdivided into it: What are the most important terms for popular studies? What are the concepts of these terms differentiated? We will answer the problem by focusing on controlling important terms, including: folklore, popular culture, popular literature, anthropology.

Keywords: folklore –popular culture –popular literature, anthropology.

1 - في مفهوم الثقافة:

الثقافة مفهوم واسع النطاق في دلالته. فهي في عرف الأنثروبولوجيون، وبصفة خاصة "إدوارد تيلور" الكلّ المركّب الذي يشتمل على المعرفة، والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والتقاليد، وأيّ نوع آخر من القدرات، والعادات التي اكتسبها المرء بوصفه عضواً في المجتمع¹.

هي بذلك "تشمل العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحذق فيها"². غير مقتصرة في ذلك على دلالتها التي تحظى بالشهرة والذيع بوصفها الاستنارة العقلية وسعة الاطلاع، وتدوّق الفنون على التحو الذي ترعاه به وزارة الثقافة ومؤسّساتها،... بل تتجاوزها إلى التعبير عن القضايا العامّة³.

فقد «استقرّت الدراسات الإنسانية المعاصرة على اعتبار مفردة "ثقافة" مصطلحاً يدلّ على منظومة من الخبرات التي حصّلتها جماعة من الجماعات البشرية، تتجلى فيها طريقة هذه الجماعة في الحياة، وتحدّد أنساقها القيمية والمعتقدية والمعرفية والجمالية،

والتي تعبر عن نظرتها للوجود الاجتماعي والطبيعية. وحددت الموضوعات التي يشملها المصطلح بأنها: القيم والمعارف والتصورات والعادات والأعراف والتنظيمات، والتعبيرات الفنية، وأساليب العمل والإنتاج وأدواته وعلاقاته، وأي قدرات أخرى يكتسبها الفرد بوصفه عضواً في المجتمع»⁴.

2- في مفهوم الثقافة الشعبية :

إن وصف الثقافة "بالشعبية" يصوغ مصطلحاً آخر يُحدّد صنفاً من الثقافة تسري عليه المقومات التي أشرنا إليها في مفهوم "الثقافة"، إلا أنّها تزيد عليها بمقومات خاصة. فإذا ما استعملنا مصطلح "الشعبية" بالمعنى العلمي الدقيق مستبعدين استخداماته السياسية والإعلامية السائبة، يكون مصطلح "الثقافة الشعبية" دالاً على مكونات صنف الثقافة التي تتواتر بين عامّة جماعة شعبية، وتصير مشاعاً بينهم يتداولونها على أنّها من نتاج الخبرة الجماعية المشتركة لهم-جميعاً-والحقّ نفسه في استعمالها واستثمارها، كونها ثقافة يجري تداولها عن طريق التناقل "الشفهي، الذي يعني مجرد التلقظ بالكلام، وإنّما المقصود به "التواصل الشخصي المباشر" في كلّ صورة التدرّج في احتذاء ممارسات بأعيانها على المستوى الحركي والأدائي في المقام الأول، ويأتي بعده التوجيه اللفظي وحقيقة الأمر، أنّ التناقل هنا وظيفة أدائية للحالة الشفهية، على نحو ما يأتيه المهنيون والمزارعون والرعاة والصيادون على سبيل التمثيل لا الحصر⁵.

3- مفهوم التراث، ومكوناته:

التراث لفظة اصطلح عليها الباحثون العرب كمقابل للفظة فولكلور الانجليزية التي ظهرت في أواسط القرن الثامن عشر بمعنى العادات والتقاليد والأمثال والأغاني والحكايات الشعبية، وقد عدّه العالم الأمريكي سميث طومسون smith thomson مرادفاً للتراث الشعبي قال «هو التراث إنه شيء انتقل من شخص الى شخص آخر، وجرى حفظه إما عن طريق الذاكرة أو الممارسة أكثر مما حفظه عن طريق السجل المدون»⁶.

وجاء في التقرير الأول لمجلس جمعية الفولكلور الانجليزية: "أنّ الفولكلور يمكن أن يطلق على مايشمل جميع ثقافة الشعب التي لا تدخل في نطاق الدين الرسمي ولا التاريخ، ولكن

تنمو دائما بصورة ذاتية، ويتفق جل المختصين على تحديد عناصر التراث الشعبي في أربعة أبواب :

1/ المعتقدات والمعارف الشعبية 2/ الثقافة المادية والفنون الشعبية 3/ العادات والتقاليد الشعبية 4/ الأدب الشعبي .

1/ المعتقدات والمعارف الشعبية :

المعتقدات ويقصد بها تلك الأفكار التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي، وما وراء الطبيعة وهذه المعتقدات قد تكون في الأصل نابعة من نفوس أبناء الشعب ذاته عن طريق الكشف أو الإلهام، أو أنها كانت معتقدات دينية وتتميز هذه المعتقدات كما يقول محمد الجوهري « بأنها خبيثة في صدور الناس وهي تلقن من الآخرين، ولكنها تختمر في صدور أصحابها وتتشكل بصورة مبالغ فيها أو مخففة ، يلعب فيها الخيال الفردي دوره ليعطيها طابعا خاصا، وهي مع تمكنها في أعماق النفس الانسانية موجودة في كل مكان سواء عند الريفين والحضر، وعند المثقفين كما عند الذين بلغوا مرتبة عالية من العلم والثقافة»⁷.

ويدخل في نطاق هذه المعتقدات كل الأفكار والأحاسيس التي يكونها الناس إزاء الظواهر الطبيعية العادية أو الشاذة، كما تعتمد المعارف والتي هي عبارة عن آليات وطرائق يستقيمها الإنسان وابتدعها، خلال مساره الحياتي قصد التكيف ويجاد حلول المشاكل التي تعترضه، وإشباع حاجاته الأساسية اعتمادا على تجاربه المتواصلة والمتراكمة، فمثلا الفلاح ينوع من أساليب الزراعة تبعا للتغيرات المناخية وكذا امكاناته المادية، فنجده يبتدع كل مرة طريقة مثلى تراعي وضعية الأرض، وكذا تحسين جودة محصوله رغم أنه لم يكن خريج معهد أو تكوين، وبهذا بلغ الفلاحون من جهتهم درجة قصوى في معرفة فصائل النباتات ومختلف أساليب الزراعة وفصول الإنتاج، ولهم في ذلك رزنامة مضبوطة تفوق أحيانا في دقتها ما يدرس في المعاهد المختصة .

2/ الثقافة المادية والفنون الحرفية :

وهي كل الممارسات اليدوية والانتاج التقليدي الملموس والمتجذر في ثقافة المجموعة، وتسمى صناعات تقليدية إذ أخذنا بالاعتبار البعدين الجمالي والاقتصادي لهذا الانتاج وأيضا فنونا حرفية، حينما نركز على الأساليب والطرق الفنية التي تستخدم في تلك الصناعة.

فمصطلح الثقافة المادية هنا ذو دلالات متجددة تمنح لتلك الأشكال المادية الديمومة والاستمرارية، خلال حقب مختلفة وذهنيات متنوعة ولها وظائف عدة؛ كالوظيفة النفعية للأواني الفخارية المستعملة للأكل والشرب، وأخرى كالوظيفة الجمالية مثلا الأواني النحاسية تستعمل للزينة.

هذا وتصنف عناصر الثقافة المادية اعتمادا على معيارين اثنين :
الأول: هو طبيعة المادة الخام وتقنيات الصنع .

الثاني : الوظيفة التي يؤديها الشيء في نطاق تلبية حاجيات الإنسان.⁸

وتمارس الفنون الحرفية في الجزائر إما فب نطاق العمل المنزلي الذي تقوم به المرأة كنسج السجاد وتطريزا للملابس، أو في أسواق كانت قديما مختصة في بيع تلك الأدوات يعرض فيها حرفيون نشاطاتهم وهم منضوون إلى طوائف مهنية لها قوانينها وأعرافها، التي تضبط واصفات المنتوجات وطرق الصنع وتعاطي الحرفة، وكل ذلك يساعد في الحفاظ على هوية الموروث الثقافي .

بالإضافة إلى ذلك نجد الموسيقى والغناء والرقص والألعاب وغيرها من الأشكال الفنية، التي تتسم بالحركة أو الصوت والملاحظ أن هذا النوع من التراث سجل اهتماما واضحا من جل باحثي ثقافات الشعوب، فوضعوا لها مفاهيم خاصة تحدد أطرها، فبوبوا هذه المادة وفقا لانتماها الجغرافي والاجتماعي، كما رتبوا الموروث الموسيقي حسب الأجناس والأشكال المعروفة محليا اعتمادا على الايقاعات والمقامات .

ويمكن رصد أشكال الفنون الشعبية فيما يأتي⁹ :

1/ الموسيقى الشعبية:

أ /الموسيقى المصاحبة للأغاني :- الموسيقى المصاحبة للرقص - الموسيقى المصاحبة للنداءات والابتهالات

- الموسيقى المصاحبة للإنشاد- الموسيقى البحتة
 ب/ الآلات الموسيقية :- الات النفخ - آلات وترية - آلات ايقاع
 2/ الرقص الشعبي والألعاب :/ الرقص جماعي /فردى- ذكر / صوفى- فئات خاصة
 ب /الألعاب : غنائية/ أطفال / منافسة/ تسلية
 3/ فنون التشكيل الشعبى:
 أ / أشغال التوشية
 ب/ الحلى
 ج/ أدوات الزينة
 د/ الأثاث
 ر/ العمارة الشعبية
 هـ/ الدمى
 و/ الوشم
 ي/ الرسوم الجدارية

عرّف الباحث محمد المرزوقي الأدب الشعبى على أنه «الأدب المجهول المؤلف، العامى اللغة، المتوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية»¹⁰، يتحدد من هذا التعريف أن الأدب الشعبى بحسب المرزوقي كل أدب لا يعرف مبدعه الأصلي فيتداول ضمن نطاق المجموعة على أساس أنه أديمها، وهو الأدب الذى يتوسل اللغة العامية للتعبير عن قضاياها وهذا الأمر ليس دائما فكثير من الإبداعات الأدبية لم تقتصر فى عملية إنتاجها على اللغة العامية بل اللغة الفصحى نحو ألف ليلة وليلة وبخلاء الجاحظ، المقامات كلها مكتوبة باللغة العربية الفصحى ومع ذلك تشترك فى مجموعة خصائص يبني عليها الأدب الشعبى من بينها شديد الصلة بالواقع والتعبير عن رؤى وتصورات كافة أطياف المجتمع أو المجموعة الشعبية.

أما الباحث عبد الحميد محمد في كتابه روح الأدب «الأدب الشعبي رباط وثيق بكل أمة، يولد معها ويتعرع بجوارها ويتربى في تربتها ويرضع ثديها، ويجتر كل الحياة حلوها ومرها، بلا تباطؤ، فإذا هو بعد ذلك أدب شعبي متين بالإلتصاق بهذه الأمة، مكين في روحانياتها، متشبث في قاعدتها، غائص في أعماقها، فيصير ترجمة لها وعنوانا»¹¹، يعتبر الباحث أن الأدب الشعبي متين الصلة بكل أمة من الأمم، يُعبر عنها ويمثلها فهو مرآة عاكسة لكل ما يتعلق بالحياة الإنسانية، يترجم مشاعر الفرح والحزن والتصورات التي تكونها الأمة حول الحياة، فالأدب الشعبي يعكس الواقع والمواقف والمشاعر الإنسانية.

الخاتمة:

لئن كانت "الثقافة" تشمل العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحدّق فيها، غير مقتصرة في ذلك على دلالتها التي تحظى بالشهرة والذيع بوصفها الاستنارة العقلية وسعة الاطلاع، وتذوّق الفنون على النحو الذي ترعاه به وزارة الثقافة ومؤسساتها، بل تتجاوزها إلى التعبير عن القضايا العامّة. لذا كان مصطلح "الثقافة الشعبية" دالاً على مكونات صنف الثقافة التي تتواتر بين عامّة جماعة شعبية، وتصير مشاعاً بينهم يتداولونها على أنّها من نتاج الخبرة الجمعية المشتركة لهم، كون "السياق الثقافي" يشمل الاعتقادات المشتركة بين أفراد البيئة اللغوية والمعلومات التاريخية، والأفكار والأعراف المشاعة بينهم، ومما هو مرتبط بالحياة الاجتماعية أو له صلة بثقافة المجتمع الدينية أو السياسية أو الاجتماعية بوجه عامّ، وهو ما يعرف عادة بالتراث، هذا المصطلح الذي يُعدّ من بين أهم محاور الدراسات الشعبية والاجتماعية والأنثروبولوجية تشكيلا للجدل، كونه تتجاذبه عدة مرجعيات ينطلق منها الباحثون في تحديد هويته وحدوده والأطر التي تنتظم تحته، كون التراث هو محصلة خبرات السلف يشمل على جوانب مادية وأخرى معنوية..

المصادر والمراجع:

1. أحمد زياد محبك، حكايات شعبية "قصص" منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، سوريا.
2. أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، دت، 98/1.
3. سايمون ديورنغ، الدراسات الثقافية "مقدمة نقدية"، ترممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، 2015، الكويت، ص 100.

4. ينظر: صلاح قنصوة، تمارين في النقد الثقافي، ط1، دار ميريت، القاهرة، 2007م.
 5. عبد الحميد حوَّاس، المادي في الثقافة الشعبية (رؤية عربية)، مجلة الثقافة الشعبية، يصدرها أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات العدد 9 .
 6. عزّ الدين إسماعيل، مقدمات في النقد الثقافي، مجلة محاور، العدد(01)، يونيو، 2004 م.
 7. محمد الجوهري، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، 2006، مصر.
- الهوامش:

- 1- عزّ الدين إسماعيل، مقدمات في النقد الثقافي، مجلة محاور، العدد(01)، يونيو، 2004 م، ص25-26.
- 2 - أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، دت، 1/98 مادة(خلق).
- 3- ينظر: صلاح قنصوة، تمارين في النقد الثقافي، ط1، دار ميريت، القاهرة، 2007م، ص13.
- 4- عبد الحميد حوَّاس، المادي في الثقافة الشعبية (رؤية عربية)، مجلة الثقافة الشعبية، يصدرها أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات، العدد 9 ، ص12.
- 5- المرجع نفسه، ص12..
- 6- أحمد زياد محبك، حكايات شعبية "قصص"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، سوريا، ص55.
- 7- سايمون ديورنغ، الدراسات الثقافية "مقدمة نقدية"، ترممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، 2015، الكويت، ص100 .
- 8- محمد الجوهري، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، 2006، مصر، ص33.
- 9- ناصر البقلوطي، مقولات في التراث الشعبي، تبر الزمان، 2005، تونس، ص22 .
- 10- محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر، 1967، تونس، ص49.
- 11- عبد الحميد محمد، روح الأدب، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت، السودان، ص13.